

أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي

أ.د. سميرة عبدالله الرفاعيⁱⁱ

تاريخ القبول

2024/7/15

أيمن مفلح الروبيضيⁱ

تاريخ الاستلام

2024/6/12

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعريف بالإمام أبي حامد الغزالي من حيث اسمه، ولقبه، ومولده، ونشأته، ووفاته، بالإضافة إلى بيان عدد من المفاهيم، مثل: مفهوم التزكية، ونظرية التزكية، والهدف التزكوي، كما سعت إلى بيان أنواع أهداف نظرية التزكية عنده. واعتمد المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي، اللذين من خلالهما توصلنا إلى مجموعة من النتائج، أبرزها: تنوعت أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي؛ فمنها ما هو متعلق بمكونات بنية الشخصية الإنسانية المرتبطة بالفرد: عقلية، وجسمية، وروحية، ومنها أهداف عامة تتعلق بالجماعة. وتوصي الدراسة العاملين في حقل الوعظ والإرشاد في وزارة الأوقاف الأردنية بتضمين أهداف نظرية التزكية في خطبهم التزكوية، ودروسهم الوعظية.

الكلمات المفتاحية: الهدف التزكوي، نظرية التزكية، التزكية.

ⁱ جامعة اليرموك

ⁱⁱ جامعة اليرموك

“The objectives of the theory of purification according to Imam Abu Hamid al-Ghazali”

Abstract:

This study aimed to introduce Imam Abu Hamid Al-Ghazali, in terms of his name, surname, birth, upbringing, and death, in addition to explaining several concepts such as the concept of purification, the theory of purification and the goal of purification. The study also sought to explain the types of goals of his theory of purification. The researchers employed both inductive and deductive approaches. Through which the most prominent results were reached, showing the diversity of the objectives of the theory of purification, according to Imam Abu Hamid Al Ghazali to goals related to the components of the structure of the human personality related to the components of the structure of the human personality related to the individual: Mental, physical, and spiritual. The study recommended those working in the field of preaching and guidance in the Jordanian Ministry of Awqaf and Islamic Affairs include the objectives of the theory of purification in their sermons and preaching lessons.

Keywords: Purification, theory of purification, goal of purification.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد، لقد خلق الله تعالى الإنسان على الفطرة السوية، التي لا اعوجاج فيها ولا انحراف، وخلق في أحسن تقويم، وعلمه البيان، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وأرسل الله تعالى الرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ لهداية البشرية وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وجعل من أسمى وظائفهم تزكية النفس البشرية عقلاً، وروحاً، وسلوكاً في ميادين الحياة كافة، والتي من شأنها أن تحقق النفع للإنسان في دنياه وآخرته.

ولتحقيق عملية التزكية، أوكلت وظيفة الأنبياء عليهم السلام إلى العلماء الربانيين من بعدهم، الذين هم ورثة الأنبياء، والذين يقودون الأمة إلى بر الأمان وحياة الإيمان. فسخر الله تعالى للأمة الإسلامية علماء أجلاء، قاموا ببناء صرح التزكية للأمة الإسلامية، وشيدوا بُنيانه وأرسوا قواعده، وكان من هؤلاء العلماء الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى، الذي ألف مصنفات في تهذيب النفس البشرية وتزكيتها، وما أوجنا إلى العودة إلى مؤلفاته في التزكية! لنكون منها نظرية تزكية تؤسس جيلاً تربوياً فريداً، كما أنشأه وأسس؛ وذلك نظراً للتشابه الكبير بين الحقبة الزمنية التي نشأ بها، والعصر الذي نعيش فيه، حيث نشأ الإمام أبو حامد الغزالي في القرن الخامس الهجري، الذي كثرت فيه الفرق والملل، واشتهر فيه الفلاسفة، وعلم الكلام، والمنطق، وكثرت فيه الخلافات السياسية، ودخل في الإسلام من هو راغب فيه ومن هو حاقد عليه، وأدخل في العلوم عامة، وعلم التزكية خاصة ما ليس من أصوله ولا فروع، وطغت فيه المادة على الجانب الروحي، والقيمي. لذا فقد جاء هذا البحث ليسلط الضوء على أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي -رحمه الله تعالى-.

مشكلة الدراسة

نظراً لشعور الباحث وإحساسه بالحاجة إلى التأليف، والتصنيف في ميادين التزكية، كونه خطيباً وواعظاً في إرشاد النفس وتزكيتها، وانطلاقاً بما أوصت به الرسائل العلمية في الكتابة حول مراجع التزكية الصحيحة عند أعلام الفكر الإسلامي، ودراسة تزكية النفس في القرآن الكريم، والسنة المطهرة كرسالة بني عامر⁽ⁱⁱⁱ⁾، ومحمد^(iv)، ونظراً لأهمية التزكية في الوقت المعاصر، وحاجة المجتمعات والمؤسسات التربوية إليها، تتحدد مشكلة الدراسة بالإجابة عن سؤالها الرئيس: ما أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي؟

الذي تتفرع عنه الأسئلة الآتية:

- 1- من الإمام أبو حامد الغزالي؟
- 2- ما مفهوم التزكية، ونظرية التزكية، والهدف، والهدف التزكوي؟
- 3- ما أنواع أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي؟

(iii) بني عامر، سامر خليفة مفلح، معالم نظرية التزكية عند ابن القيم في الوعظ والإرشاد وتطبيقاتها التربوية، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 2022 م.

(iv) محمد، فاطمة أحمد موسى، تزكية النفس عند الإمامين الغزالي وابن تيمية، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، كلية أصول الدين، 2017 م.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الآتي:

- 1- التعريف بالإمام أبي حامد الغزالي.
- 2- بيان مفهوم التزكية، ونظرية التزكية، ونظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي، والهدف، والهدف التزكوي.
- 3- بيان أنواع أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية الدراسة من أهمية موضوعها، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، حيث يُتوقع من الدراسة أن تفيد الجهات الآتية:

- 1- الباحثين في الدراسات التراثية الإسلامية: وذلك من خلال وقوفهم على دراسة علمية، تعنى بأبرز أعلام الفكر التربوي الإسلامي في مجال التزكية.
- 2- العاملين في حقل التربية والتعليم: حيث تشكل أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي النموذج الأكمل للتأطير في التنمية الشاملة، والكاملة، لعناصر العملية التعليمية المتمثلة بالإدارة، والمعلم، والمتعلم، والمنهاج.
- 3- العاملين في حقل الوعظ والإرشاد: من خلال ما يضمّنه الخطيب والواعظ في دروسه، وخطبه، من أهداف تزكوية مقتبسة من مفكر، ومربٍّ إسلامي، يكون إماماً في مجال التزكية.
- 4- العاملين في حقل الإصلاح الأسري: وذلك من خلال عقد دورات تزكوية في جانب الأسرة، وإقامة البرامج الفعالة، والهادفة التي من شأنها أن ترقى بجماعة الأسرة، بالإضافة إلى تقديم النصح والإرشاد والمتابعة المستمرة لتلك الأسر؛ للنهوض بالعملية التزكوية الشاملة، والكاملة، لجوانب الشخصية.

منهجية الدراسة

اتبع الباحث في هذه الدراسة منهجين علميين، هما:

- 1- المنهج الاستقرائي: حيث قام الباحث بمتابعة مؤلفات الإمام الغزالي، التي اشتملت على موضوع التزكية، ثم تفسيرها من باب التأسيس لأهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي.
- 2- المنهج الاستنباطي: وذلك من خلال استنباط أهداف نظرية التزكية من مصنفات الإمام أبي حامد الغزالي؛ للوصول إلى أهداف نظرية التزكية ذات الطابع التكاملي، التي تلقت وبنيّة الشخصية الإنسانية، والطابع الشمولي للفرد والجماعة.

حدود الدراسة

- اقتصرت الدراسة الحالية على موضوع التزكية في أبرز مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي التي اهتمت بهذا المحور اهتماماً كبيراً، وهي ستة:
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.
 - الأربعين في أصول الدين.
 - إحياء علوم الدين.

- منهاج العابدين.
- المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال.
- أيها الولد.

مصطلحات الدراسة

تضمنت الدراسة عدداً من المصطلحات التي يجب تعريفها وفقاً للسياق الذي وردت فيه:

- التزكية: "عملية تطهير وتنمية شاملين، وهدفها استبعاد العناصر الموهنة للإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلف وخسران، وتنمية كاملة للعناصر الحقيقية للإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم، وفلاح في حياة الفرد" (v).
- نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي: هي بيان مفهوم التزكية، وأهدافها، ومصادرها، ومجالاتها، وأساليبها، ومعوقاتها في رؤية الإمام أبي حامد الغزالي للتزكية.
- الهدف: "محركاً، كل شيء عظيم مرتفع، وقولهم من صنف فقد استهدف: أي انتصب كالغرض يرمي بالأقاول" (vi).
- الهدف التزكوي: غاية الوصول إلى الكمال البشري في بنية الشخصية الإنسانية، من خلال المجاهدة والرياضة، وفق منهجية التخلية عما ينقص الكمال البشري، والتحلية بكل ما يؤدي إلى إتمام ذلك الكمال البشري.

الدراسات السابقة

وقف الباحث على مجموعة من الدراسات ذات الصلة ببعض محاور الدراسة، ورتبها ترتيباً تنازلياً من الأحدث إلى الأقدم:

1- دراسة بني عامر (2022م) الموسومة بـ "معالم نظرية التزكية عند ابن القيم في الوعظ والإرشاد وتطبيقاتها التربوية" (vii).

هدفت الدراسة إلى الكشف عن معالم نظرية التزكية عند ابن القيم في الوعظ، والإرشاد، وتطبيقاتها التربوية، وتضمنت الدراسة خمسة فصول، بين فيها أهمية التزكية، ومصادرها، وقواعدها، وعناصرها، وأنماطها عند ابن القيم، وتطبيقاتها التربوية في الوعظ والإرشاد. خلصت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات، أهمها: تعرف التزكية بأنها عملية نسخية تؤدي إلى تغيير ذاتي عند الإنسان، ويشمل هذا التغيير تطهيراً للنفس الإنسانية، يستوعب أعمال القلوب جميعها، وخارجياً يستوعب أعمال الجوارح جميعها، وتعرف نظرية التزكية بأنها: المفاهيم العلمية، والتطبيقات العملية، التي تعنى بتطهير الإنسان من الداخل والخارج بواسطة الوحي؛ بهدف الاستقامة في الدنيا، والفوز بالآخرة.

2- دراسة الوزير (2022م)، الموسومة بـ "فلسفة الأخلاق عند أبي حامد الغزالي" (viii)، هدفت الدراسة إلى توضيح مفهوم الأخلاق عند الغزالي، وعلاقتها بالتصوف، مع بيان بعض

(v) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، دار القلم، أبو ظبي، 2005م، ط1، ص135.
(vi) القاهري، عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، 1990م، ط1، ص343، م. ش.
(vii) بني عامر، سامر خليفة مفلح، معالم نظرية التزكية عند ابن القيم في الوعظ والإرشاد وتطبيقاتها التربوية، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الأردن، 2022م.

التطبيقات التربوية المعاصرة للنظرية الأخلاقية عند الغزالي. تضمنت الدراسة أربعة مباحث، هي: حياة الغزالي وشخصيته العلمية، ومفهوم الأخلاق عند الغزالي، ووسائل التربية الخلقية عند الغزالي ومراحلها، ومراحل التربية الخلقية عند الغزالي وتطبيقاتها المعاصرة في المنظومة التربوية. خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها: أن الغزالي يفرق بين الخلق كسجية وطبع وبين حسن الخلق؛ لذا فإن الأخلاق عند الغزالي لها جانبان: فطري، ومكتسب.

3- دراسة إبراهيم (2020م)، الموسومة بـ "تزكية النفس في القرآن الكريم بين الوسائل والمعوقات" ix، هدفت الدراسة: إلى بيان أهمية تزكية النفس، وأنها عملية تطهير شاملة للنفس البشرية، هدفها استبعاد كل العناصر الموهنة للإنسانية الإنسان، وتنمية كاملة للعناصر المحققة للإنسانية الإنسان، وتضمنت مفهوم تزكية النفس، ووسائلها، ومعوقاتهما. وخلصت إلى النتائج الآتية: أولاً-تزكية النفس هي مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام، والمصلحين في كل زمان ومكان. ثانياً-وسائل تزكية النفس متعددة، منها: الإيمان بالله تعالى إيماناً حقيقياً، والمحافظة على العبادات، والعلم النافع، ومحاسبة النفس، والاستقامة على أمر الله عز وجل.

4- دراسة محمد (2017م) الموسومة بـ "تزكية النفس عند الإمامين الغزالي وابن تيمية: دراسة مقارنة" (x).

هدفت الدراسة إلى بيان تزكية النفس عند الإمامين الغزالي وابن تيمية. وتضمنت الدراسة ثلاثة فصول، هي: حياة الإمام الغزالي، وحياة الإمام ابن تيمية، ومنهج الإمام الغزالي في التزكية والغاية والثمرات. وخلصت الدراسة إلى نتائج عدة، أبرزها: أكد الإسلام على تزكية النفس، وهي ضرورية للفرد والمجتمع، كما حث الإسلام على تزكية النفس، بالقرآن الكريم، والسنة النبوية.

خلاصة وتقيب

- استفادت الدراسة الحالية من دراسة بني عامر في جانب منهجية التأطير لعناصر نظرية التزكية، واتفقت معها في الكشف عن مفهوم التزكية، ومفهوم نظرية التزكية بشكل عام، واختلفت عنها في بيان خصائص مفهوم نظرية التزكية بشكل عام، وبيان مفهوم نظرية التزكية بشكل خاص عند الإمام أبي حامد الغزالي، كما تميزت الدراسة الحالية ببيان الأهداف العقلية لنظرية التزكية، واعتنائها بالإمام أبي حامد الغزالي، بينما اعتنت دراسة بني عامر بالإمام ابن القيم.

- استفادت الدراسة الحالية من دراسة الوزير في جانب معرفة وسائل التربية الخلقية عند الغزالي ومراحلها، واتفقت معها في محور التزكية الباطنية للفرد المتمثل في التخلي والتحلية، واختلفت عنها في بيان النظرة الشمولية لمفهوم التزكية لجوانب الشخصية الإنسانية العقلية،

viii الوزير، محمد السيد عبد المنصف، فلسفة الأخلاق عند أبي حامد الغزالي، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مؤسسة برابو للخدمات التعليمية بجمهورية السودان، مجلد 3، عدد 2، 2022م.

ix إبراهيم، محمد إبراهيم حامد، تزكية النفس في القرآن الكريم بين الوسائل والمعوقات، مجلة الأزهر، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، مصر، 2020م.

(x) محمد، فاطمة أحمد موسى، تزكية النفس عند الإمامين الغزالي وابن تيمية، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، كلية أصول الدين، أم درمان، السودان، 2017م.

والروحية، والجسمية جميعها، وتميزت بذكرها أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي المتعلقة بالفرد، والأهداف العامة المتعلقة بالجماعة.

- استفادت الدراسة الحالية من دراسة إبراهيم في الاطلاع على وسائل تزكية النفس، وبيان معوقاتها، واتفقت معها في بيان المفهوم الشمولي للتزكية، واختلفت عنها في بيان مفهوم نظرية التزكية وخصائصها، وتميزت الدراسة الحالية ببيان رؤية الإمام أبي حامد الغزالي لمفهوم نظرية التزكية، والهدف التزكوي، بالإضافة إلى تأطيرها لأهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي ذات الطابع الفردي والجماعي.

- استفادت الدراسة الحالية من دراسة محمد في معرفة منهج الإمام أبي حامد الغزالي في التزكية، بالإضافة إلى معرفة غاية التزكية وثمراتها عنده، واتفقت معها في بيان حياة الإمام الغزالي، ومكانته العلمية، فضلاً عن بيان مفهوم التزكية، وبعض الأهداف العامة المتعلقة بالجماعة، واختلفت عنها في بيان مفهوم نظرية التزكية وخصائصه، وبيان رؤية الإمام أبي حامد الغزالي لمفهوم نظرية التزكية، والهدف التزكوي، وتميزت الدراسة الحالية بذكرها للأهداف المتعلقة بمكونات بنية الشخصية الإنسانية العقلية، والجسمية، والروحية، ذات الطابع الفردي.

الإضافة العلمية للدراسة

تتمثل الإضافة العلمية للدراسة الحالية بما يأتي:

- 1- بيان عدد من المفاهيم المتعلقة بالدراسة الحالية حول نظرية التزكية، والهدف التزكوي عند الإمام أبي حامد الغزالي، بالإضافة إلى بيان خصائص مفهوم نظرية التزكية بشكل عام.
- 2- تميزت الدراسة الحالية بإضافتها للأهداف المتعلقة بمكونات بنية الشخصية الإنسانية العقلية، والجسمية، والروحية.

المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي حامد الغزالي، اسمه، ولقبه، ومولده، ونشأته، ووفاته

يتضمن هذا المبحث التعريف بالإمام أبي حامد الغزالي، من حيث اسمه، ولقبه، ومولده، ونشأته، ووفاته بشكل موجز بحيث يلبي الغاية، ويحقق الهدف المنشود، على النحو الآتي:

أولاً: اسمه ولقبه

اسمه محمد بن محمد بن أحمد (xi) الشافعي الغزالي (xii) الطوسي، وكنيته أبو حامد، ولقبه حجة الإسلام، وزين الدين.

ثانياً: مولده ونشأته

ولد في قرية طوس سنة (450 هـ)، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكان في ذلك المكان، فلما حضرت منية والده، أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق متصوف من أهل الخير، وقال له: "إن لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولدي هذين فعلمهما، ولا عليك أن تتفد في ذلك جميع ما أخلفه لهما"، فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما

(xi) الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ط 1، ص 292، م.ش.

(xii) ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، 1900م، ط 1، ج 4، ص 216.

إلى أن فنى ذلك المال الذى كان خلّفه لهما أبوهما، وتعذر على الصوفى القيام بقوتهما، فقال لهما: "اعلما أنى قد انفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لى فأواسيكما به، وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ إلى مدرسة، فإنكما من طلبة العلم، فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما" ففعلا ذلك، وكان هو السبب فى سعادتهما وعلو درجاتهما، وكان الغزالي يحكى هذا ويقول: "طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله ... فكان أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى- أفقه أقرانه وإمام أهل زمانه، وأما أخوه أحمد فكان واعظاً يلين الصم والصخور عىء سماع تحذيره (xiii).

وبعد وفاة الجوينى شيخ الغزالي سافر إلى بغداد وعيّن مدرساً فى المدرسة النظامية (xiv)، وكان قد مضى من عمره أربعة وثلاثون عاماً، فعلاً شأنه، وارتفعت مكانته، وذاع صيته بين العلماء، ثم سافر من بغداد إلى الشام متظاهراً بأنه يريد الحج إلى مكة، فلما قدم إلى دمشق صنف كتاب الإحياء فى علوم الدين، وقام بتدريسه على التلاميذ، ثم ذهب إلى القدس ومكث فى المسجد الأقصى، ثم أتى موسم الحج ثم ذهب إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة المكرمة، ثم زاد الشوق والحنين عىءه إلى أبائنه وأهله، فعاد إليهم بعد الخلوة والعزلة التى دامت سنتين (488هـ-490هـ) (xv).

ثالثاً: وفاته

"وبعد مكوثه فى بغداد رجع إلى طوس، ثم ألزم بالعودة إلى نيسابور للتدريس استجابة لرأى الوزير فخر الملك ابن نظام الملك، ثم ترك التدريس فى نيسابور مرغماً بسبب العوامل والظروف التى أحاطت به، التى من أبرزها سقوط الوزير فخر الملك ذبيحاً بيد الباطنية سنة (500هـ) (xvi)، فرجع إلى طوس، ومكث فيها خمسة أعوام، أقبل فيها على قراءة الأحاديث النبوية الشريفة، لا سيما البخارى ومسلم، إلى أن توفاه الله تعالى فى تلك القرية صبيحة يوم الإثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة (505هـ). قال أبو الفرج بن الجوزى: "قال أحمد أخو الإمام الغزالي: لما كان يوم الإثنين وقت الصبح توضأ أخى أبو حامد، وصلى، وقال: عليّ بالكفن، فأخذه وقبله، ووضعته على عينيّه، وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مد رجليه، واستقبل القبلة ومات قبل الأسفار - رحمه الله تعالى- (xvii).

المبحث الثانى: مفهوم التزكية والمصطلحات ذات الصلة

إن مفهوم التزكية كغيره من المفاهيم التى وقع فيها الالتباس على مر التاريخ الإسلامى، حيث تناولت بعض الفرق الإسلامية مفهوم التزكية بما يخدم فكرها، فمنهم من جعل التزكية خاصة بالقلب، ومنهم من جعلها خاصة بالأركان والسلوك، ومنهم من قصرها على الأخلاق؛ لذا جاء هذا المبحث لىسلط الضوء على مفهوم التزكية، ومفاهيم ذات صلة بموضوع الدراسة، كمفهوم

(xiii) السبكى، تاج الدين بن على، طبقات الشافعية الكبرى، دار هجر، القاهرة، 1413هـ، ط2، ج6، ص194، م.ش.

(xiv) أقدم مدارس بغداد، أنشأها الوزير نظام الملك فى عهد الخليفة العباسى أبو جعفر عبدالله القائم بأمر الله سنة 459هـ، الدروبي، إبراهيم عبد الغنى، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، مطبعة الرابطة، بغداد، 1958م، ص276.

xv الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، المنقذ من الضلال، دار الكتب الحديثة، القاهرة، دت، ط1، ص174، م.ش.

(xvi) ابن الأثير، أبو الحسن على بن محمد، الكامل فى التاريخ، دار الكتاب العربى، بيروت، 1997م، ج8، ص449، م.ش.

(xvii) أبو الفرج، جمال الدين بن عبد الرحمن الجوزى، الثبات عىء الممات، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دت، ط1، ص178، م.ش.

النظرية، والتزكية، والهدف، لغة واصطلاحاً، ومفهوم نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي، ومفهوم الهدف التزكوي، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: مفهوم النظرية في اللغة والاصطلاح

مفهوم النظرية في اللغة

بعد الرجوع إلى معاجم اللغة العربية، فإن لفظة النظرية تدل على المعاني الآتية:

- "نظر: النون والطاء والراء أصل صحيح ترجع فروعه إلى معنى واحد، هو تأمل الشيء ومعانيته، ثم يستعار ويتسع فيه. فيقال: نظرت إلى الشيء، أنظر إليه إذا عاينته" (xviii).
- "نظر: النظر: حس العين. وتقول: نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب. والنظر: الفكر في الشيء، تقديره وتقيسه منك. والنظر يقع على الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر فهو للمعاني" (xix).

ومن خلال ما سبق ذكره يستنتج الباحث الآتي:

- 1- أن النظرية في اللغة أصلها نظر وترجع إلى معاينة الشيء والتأمل به.
- 2- تشترك العين والقلب والعقل في معنى النظر، فالعين تبصر المحسوسات والمشاهدات الخارجية، والعقل يتفكر ويتدبر في الأمور المعنوية، والقلب يتعظ.

مفهوم النظرية اصطلاحاً

عُرِّفت النظرية بمعان ومدلولات عدة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- "مجموعة من المفاهيم والتعريفات والافتراضات المترابطة، تقدم نظرية نظامية إلى الظواهر، يتم فيها تحديد المتغيرات التي تؤثر في كل منها، والعلاقات بين هذه المتغيرات بهدف وصف هذه الظواهر وشرحها والتنبؤ بها" (xx).
- "مجموعة من المبادئ والقواعد والمفاهيم المترابطة التي توجه مختلف الممارسات والأعمال وترشدها" (xxi).

وأيد الباحث ما ذهب إليه بشير التوم، وذلك للأسباب الآتية:

- 1- وصف النظرية بأنها مجموعة من القواعد والمبادئ والمفاهيم المترابطة، وهذا هو محتوى الدراسة الحالية، فهي عبارة عن استنتاج قواعد ومبادئ ومفاهيم للتزكية من فكر الإمام أبي حامد الغزالي.
- 2- الهدف من النظرية التوجيه والإرشاد، وهذا يتلاءم مع موضوع الدراسة الحالية وأهدافها، فهي توجيهية إرشادية.

(xviii) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2018م، ط 1، ص 785.

(xix) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 5، ص 215.

(xx) فليح، فاروق عبده، وأحمد زكي، معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004م، د.ط، ص 246.

(xxi) التوم، بشير حاج، مكانة فلسفة التربية في النظرية التربوية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1990م، ط 1، ج 2، ص 320.

3- الممارسات كافة تشمل ممارسات القلب، وممارسات العقل، وممارسات الجسد، وممارسات الفرد والجماعة، ولا تقتصر على جانب دون آخر، وهذا ما تسعى الدراسة الحالية لتحقيقه من خلال بناء أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي، وتطبيقاتها التربوية.

ثانياً: مفهوم التزكية في اللغة والاصطلاح مفهوم التزكية لغة

بعد الرجوع إلى معاجم اللغة العربية تبين أن لفظة التزكية ترجع للمعاني الآتية:
"الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال: الطهارة زكاة المال. قال بعضهم: سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه. وقال بعضهم: سميت زكاة لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} (سورة التوبة: 103)، والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة" (xxii).

- الصفوة والطيب والتنعم والصلاح والتقوى: الزكاة صفوة الشيء، وأرض زكية طيبة سميئة، وزكا الرجل يزكو: أي تنعم وكان في خصب، والزكاة الصلاح، ورجل تقي زكي: أي من قوم أتقياء أركياء" (xxiii).

ومن خلال ما سبق ذكره، فإن الباحث يلخص معاني التزكية بالآتي:

- 1- الصلاح والتقوى، وهذه الغاية من التزكية (صلاح الفرد والجماعة).
- 2- الصفاء والطيب والبركة، وهذا ما ينبغي أن تكون عليه المجتمعات الإسلامية من صفاء وطيب وبركة.
- 3- الطهارة، وهي اللفظة الدالة على شمول التزكية، فتشمل طهارة القلب، والعقل، والجوارح، وطهارة البيئات في مجالاتها كافة. وذلك بإزالة عوامل الضعف والوهن بعوامل القوة والبناء.

مفهوم التزكية اصطلاحاً

عرف العلماء التزكية بمصطلحات عدة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:
- "تكميل النفس الإنسانية بقمع أهوائها، وإطلاق خصائصها العليا، ولا يمكن معرفة ما تطلبه إلا بأن تعرف أولاً نفسك قواها وخواصها، والمجاهدة معالجة للنفس بتركيتها لتقضي إلى الفلاح" (xxiv).

- "عملية تطهير وتنمية شاملتين، وهدفها استبعاد العناصر الموهنة لإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلف وخسران، وتنمية كاملة للعناصر الحقيقية لإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم، وفلاح في حياة الفرد" (xxv).
ويؤيد الباحث من هذه المصطلحات ما ذهب إليه الكيلاني، وذلك للأسباب الآتية:

(xxii) ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص333.

(xxiii) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ط3، ج14، ص358، م.ش.

(xxiv) الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، ميزان العمل، دار المعارف، القاهرة، 1964م، ط1، ص199، م.ش.

(xxv) الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية والمربون والعاملون فيها، مرجع سابق، ص 135.

- 1- إن هذه المعاني التي دل عليها مفهوم التزكية عند الكيلاني واضحة وصريحة، تضمنتها مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي ومصنفاته في محتواها وفحواها، بشكل مُجزأ، ومتفرق، وبطريقة غير مباشرة في موضوعات كتبه التزكية.
- 2- بين الكيلاني الحقيقة الكلية والنموذج الأكمل لعملية التزكية، فهي عملية تطهير، وتنمية شاملة لعناصر الإنسان العقلية والجسمية والروحية كافة، وتتعدى بذلك بشمولها لتحيط بكافة البيئات التي تتفاعل مع الإنسان.
- 3- بين الكيلاني الثمرة، والغاية من منهج التزكية، المتمثلة في الصلاح، والفلاح، والنقد في حياة الفرد.

ثالثاً: مفهوم نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي

بعد رجوع الباحث إلى المصنفات العلمية، والرسائل الجامعية المتعلقة بموضوع التزكية في مكتبة جامعة اليرموك، وموقعي دار المنظومة ومركز الأمان للبحوث على الشبكة العنكبوتية؛ لم يقف إلا على مفهوم واحد لنظرية التزكية، وهو: "المفاهيم العلمية والتطبيقات العملية التي تعنى بتطهير الإنسان من الداخل والخارج، بواسطة الوحي بهدف الاستقامة في الدنيا والفوز في الآخرة." (xxvi).

ويستطيع الباحث أن يبين خصائص هذا المفهوم على النحو الآتي:

- 1- قابلية نظرية التزكية للتطبيق.
 - 2- احتوى المفهوم على بيان الغاية والهدف من نظرية التزكية، المتمثل بتطهير الإنسان من الداخل والخارج.
 - 3- بين المفهوم الثمرة، والنتيجة المرجوة عند القيام بتطبيق هدف نظرية التزكية المتمثل في الاستقامة في الدنيا والفوز في الآخرة.
 - 4- شمولية المفهوم المتمثلة بتحقيق السعادة في الدارين (الدنيا والآخرة).
 - 5- اشتمل المفهوم على بيان مصدر نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي المتلو وغير المتلو.
- وبناء عليه، يعرف الباحث نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي بأنها: بيان مفهوم التزكية وأهدافها، ومصادرها، وأساليبها، ومعوقاتها، من خلال رؤية الإمام أبي حامد الغزالي للتزكية.

رابعاً: مفهوم الهدف في اللغة والاصطلاح والهدف التزكوي

مفهوم الهدف في اللغة

بعد الرجوع إلى معاجم اللغة العربية، تبين أن لفظة الهدف ترجع إلى المعاني الآتية:

- "هدف: الهاء والdal والفاء أصيل يدل على انتصاب وارتقاع، والهدف: كل شيء عظيم مرتفع، ولذلك سمي الرجل الشخيص الجافي: هدفًا، والهدف: الغرض، وركب مستهدف: عريض" (xxvii).

(xxvi) بني عامر، معالم نظرية التزكية عند ابن القيم في الوعظ والإرشاد وتطبيقاتها التربوية، مرجع سابق، ص 20.

(xxvii) ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، باب الهاء والdal والفاء وما يتلوهما، ص 809.

- "الهدف: المشرف من الأرض وإليه يلجأ، وهو: كل شيء عظيم مرتفع، والهدف ما رفع وبني من الأرض للنضال، والهدف حيد مرتفع من الرمل، وهو الثقيل الوخم" (xxviii). نستخلص مما سبق أن معنى الهدف لغة يرجع إلى المعاني الآتية:
- 1- الانتصاب، والارتفاع، والشيء العظيم.
 - 2- الثقيل الوخم، المشرف من الأرض وإليه يلجأ.
 - 3- الغرض، والقصد، وما رفع وبني من الأرض للنضال.

مفهوم الهدف في الاصطلاح

- يعرف الهدف بأنه: "محركاً كل شيء عظيم مرتفع، وقولهم من صنف فقد استهدف: أي انتصب كالغرض يرمي بالأقاول" (xxix).
- "الهدف: هو كل بناء مرتفع مشرف، ويقال أهدف له الشيء واستهدف، وإذا دنا منه وانتصب له مستقبلاً" (xxx).
- ومما سبق ذكره يخلص الباحث إلى أن:
- هناك توافق مشترك بين التعريف اللغوي، والاصطلاحي للهدف، بأنه بناء مرتفع، ومشرف، وعظيم، ومحرك، ودافع.
- وبناء عليه فإن الباحث يعرف الهدف التزكوي عند الإمام أبي حامد الغزالي بأنه: غاية الوصول إلى الكمال البشري في بنية الشخصية الإنسانية، من خلال المجاهدة، والرياضة، وفق منهجية التحلية عما ينقص الكمال البشري، والتحلية بكل ما يؤدي إلى إتمام ذلك الكمال البشري.

المبحث الثالث: أنواع أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي

تتنوع الأهداف وتتمايز بتنوع الأغراض التي تسعى إلى تحقيقها، والميادين العملية والنظرية التي تنسب إليها، فعلى سبيل المثال هناك أهداف سياسية، واقتصادية، وعسكرية.

وتتنوع الأهداف في الميدان الواحد تبعاً للمعايير التي تُنسب إليها، من حيث العموم، والخصوص، والفرد، والجماعة، والفئات العمرية، والجنس، إلى غير ذلك من المعايير المعتمدة في بناء الأهداف وتصميمها، وجاء هذا المبحث ليبين أنواع أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي في مطلبين، هما:

المطلب الأول: أهداف بنية الشخصية الإنسانية المتعلقة بالفرد

يتناول أهداف مكونات بنية الشخصية الإنسانية المتعلقة بالفرد، التي تشمل الأهداف العقلية، والجسمية، والروحية؛ إذ تتضح على النحو الآتي:

أولاً: الأهداف العقلية

يعد العقل أحد الضروريات الخمس التي تسعى الشريعة الإسلامية للمحافظة عليه من خلال جانبي الوجود والعدم، فمن جانب الوجود شرعت له العلم النافع، ومن جانب العدم حرمت عليه

(xxviii) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 9، ص 346.

(xxix) القاهري، التوقيف على مهمات التعاريف، مرجع سابق، ص 343.

(xxx) ابن الأثير، مجد الدين المبارك، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م، ط 1، ج 5، ص 251، م.ش.

كل ما يلحق به الضرر، فعالم ومفكر كالإمام أبي حامد الغزالي يدرك بأن العقل هو مناط التكليف وأساس التشريف، ويسعى لتربيته وتنميته بصورة مثلى. وحتى يقوم العقل بوظائفه المنشودة منه وفق شرع الله ومراده، لابد أن يجعل الإمام أبو حامد الغزالي لهذا العقل أهدافاً، تتضح على النحو الآتي:

1- أن يعلم العقل ذاته والأشياء المحيطة به علماً يجعله يميز بين الأشياء على حقائقها وصورها، حيث يقول الغزالي: "والعقل يدرك غيره، ويدرك نفسه، ويدرك صفات نفسه، إذ يدرك نفسه عالماً وقادراً، ويدرك علم نفسه، ويدرك علمه بعلمه بنفسه، وعلمه بعلمه نفسه إلى غير نهاية" (xxxix).

2- أن يدرك العقل الميادين التي سمح له الشارع بالتفكير فيها والتأمل والاعتبار، حيث يتفكر في ميادين الأنفس والآفاق ولا يتجاوزها إلى عالم الغيب، فتأمل الكون، وفهم أجزائه، والربط بين مكوناته، والكشف عن أسرارها لا يكون إلا بالعقل، حيث يقول الغزالي: "والعقل يتغلغل إلى بواطن الأشياء وأسرارها، ويدرك حقائقها وأرواحها، ويستنبط أسبابها وعللها وحكمها، ومما حدثت، وكيف خلقت، ومن كم معنى جمع الشيء وركب، وعلى أي مرتبة في الوجود نزل، وما نسبته إلى سائر مخلوقاته" (xxxix). ويشير الغزالي إلى عدم قدرة العقل على تصور علم الغيب فيقول الغزالي: "والعقل يدرك المعلومات والمعلومات لا تتصور أن تكون متناهية، نعم، إذا لاحظ العلوم المتحصلة، فلا يكون الحاضر الحاصل عنده إلا متناهياً، لكن في قوته إدراك ما لا نهاية له، وسائر الأعداد، ولا يتصور لها نهاية، ويدرك أنواعاً من النسب بين الأعداد، ولا يتصور لها نهاية بل يدرك علمه بالشيء، وعلمه بعلمه، وعلمه بعلمه بالشيء، وعلمه بعلمه وقوته في هذا الوجه لا تقف عند النهاية" (xxxix).

3- أن لا يتعارض العقل مع العلوم الفطرية الضرورية المتمثلة في نفي النقيضين، فالإنسان لا يكون في مكانين مختلفين في وقت واحد، حيث يقول الغزالي: "ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت، كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معدوماً معاً" (xxxix). فعلوم الفطرة مغروسة في عقل الإنسان منذ الصغر، ويسلم لها العقل ويذعن، وليست بحاجة إلى أدلة منطقية أو فلسفات جدلية لقبولها، والبحث عن مصدر وجودها، حيث يقول الغزالي: "فإن هذه العلوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطوراً عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له" (xxxix).

(xxxix) الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، مشكاة الأنوار، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1431هـ، دبط، ص 44، م.ش.

(xxxix) الغزالي، مشكاة الأنوار، مرجع سابق، ص 45.

(xxxix) الغزالي، مشكاة الأنوار، مرجع سابق، ص 46.

(xxxix) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج 3، ص 16.

(xxxix) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج 3، ص 16.

ثانياً: الأهداف الجسمية

أمر الإسلام بالاعتناء بجسم الإنسان، وهيكله، من خلال ما شرعه له من الرياضات التي من شأنها أن تقوي ساعده وتشد أركانه، ومن تلك الرياضات السباق، والرمية. وللتربية الجسمية أهداف تتضح بما يأتي (xxxvi):

1- أن يحرص المسلم على سلامة جسمه من الآفات التي يتعرض إليها من خلال ما شرعه الإسلام، للمحافظة على جسم الإنسان، كالوضوء، والغسل، وسنن الفطرة، ويرى الغزالي أن للطهارة أربع مراتب:

- المرتبة الأولى: تطهير الظاهر من الأخباث والفضلات.
 - المرتبة الثانية: تطهير الجوارح من الجرائم والآثام.
 - المرتبة الثالثة: تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والردائل الممقوتة.
 - المرتبة الرابعة: تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم.
- 2- توفير الغذاء المناسب لصحة الجسم وفق حاجة الجسم وطبائعه وخصائصه وميوله، وذلك باتزان واعتدال، ويوصي الغزالي بعدم الإفراط في الأكل منعاً لإلحاق الأذى بالجسم، ومن مضاعفات خطيرة قد تؤدي بصاحبها إلى الهلاك، لأن من أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن، ويحث أيضاً على تأديب الصبي للتخلص من آفة الشره، وألا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، فإلى جانب الشره يسعى الغزالي إلى تجنب الطفل مخاطر عدم مضغ الطعام، لما يترتب عليه من أمراض قد تصيب الجهاز الهضمي؛ مما يلحق الضرر بصحة أطفال المسلمين، ويعيقهم عن القيام بالرسالة التي خلّقوا من أجلها.

3- العمل، فالغاية من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبث العلوم هي الاستجابة لها والعمل بمقتضاها، ولا يستطيع الإنسان أن يقوم بتكاليف الدين، وشعائر الإسلام، إلا بجسم سليم وقوي، ويرى الغزالي أنك لو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب لن تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل.

ثالثاً: الأهداف الروحية

إن الذي يرقى بالتصرفات البشرية إلى الكمال، ويدفعها إلى الاعتدال في ممارساتها السلوكية، هو سمو الروح في داخل تلك الأنفس، التي تتضح أهدافها في الآتي (xxxvii):

- 1- أن يدرك الفرد القيمة الاعتبارية للروح بوصفها مكوناً أساسياً، ومحوراً مركزياً، وسراً من أسرار الإله، يسعد الإنسان بسعادتها ويشقى بشقائها، فالروح مركز الكيان البشري ونقطة ارتكازه، وإنها المهيمن الأكبر على حياة الإنسان، ويكفي أنها صلة الإنسان بالله والوجود.
- 2- أن يدرك الفرد ما جُبل عليه من خصال الفطرة وطبائعها وغرائزها، حيث تعدّ غريزة التدين من أبرز طبائع الفطرة، فالإنسان يسعى لأن يتبع ديناً أو مذهباً يسير عليه بطبع الفطرة، ولكن هذه الفطرة بما فيها من غريزة التدين بحاجة إلى توجيه وإرشاد يحفظ عليها نقاءها، ويقودها إلى الخير، ويجنبها مسالك الرذيلة، وطريق الشر، وبهذا التوجيه لغريزة التدين تسمو

(xxxvi) انظر، حراثي ليلي، مانع بسمه، فلسفة التربية عند الإمام الغزالي، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر تخصص: فلسفة اجتماعية، جامعة 8 ماي، 1945- قالمة، الجزائر، 2017م، ص 44.

(xxxvii) انظر، حراثي ليلي، مانع بسمه، فلسفة التربية عند الإمام الغزالي، مرجع سابق، ص 37.

الروح إلى أعلى درجات رقيها، وتسمو في الملكوت الأعلى، وتقود صاحبها طوعاً إلى مرضاة ربه، قال الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (سورة الروم: 30).

3- أن يؤمن الفرد بالله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فإيمانه باليوم الآخر يجعله يحاسب نفسه على ما يصدر منه من الأقوال والأفعال، ويعامل الناس بأخلاق الإسلام وروح الدين، فيحسن إليهم ويصبر على أذاهم، وإيمانه بالقدر خيره وشره يجعله يتغلب على وساوس الشيطان ونزغات النفس، وينتصر على هواه، وبذلك تسعد الروح وتفرح، ولهذه الأسباب وغيرها يصر الإمام الغزالي في رسالته التربوية على العقيدة، ووجوب تعليمها للصبي في أول نشوئه، ليحفظها حفظاً.

4- أن يدرك الفرد أن الإسلام نظام شامل، متكامل، مترابط ترابطاً وثيقاً، حيث يؤثر هذا الترابط على مكونات الشخصية الإنسانية كافة، فبقيامه بشعائر العبادات، وأركان الإسلام تسعد الروح، ويطمئن القلب، وتتصاع الجوارح، وتخضع العين، فتدفع خوفاً من بارئها، ورجاء لما عند خالقها، وكلما تمسك الإنسان بأداب الإسلام، وأحكامه، ونظمه، وشعائره، سمت المجتمعات، وارتقت أعلى سلماً في الحضارة البشرية والكرامة الإنسانية، وإذا بعدت الإنسانية عن مبادئ الإسلام وقيمه رُدَّت البشرية إلى أسفل سافلين، قال الله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} (سورة التين: 4-6).

المطلب الثاني: الأهداف العامة المتعلقة بالجماعة

تلك الأهداف التي تتعلق بأفراد الأمة الإسلامية جميعها؛ نظراً لأن التزكية تهتم بجماعة الأمة كاهتمامها بالفرد، وسمي الباحث هذه الأهداف بالأهداف العامة؛ لأنها الغاية من خلق البشر، وتسعى إلى تحقيقها الشعوب والأمم جميعها، وهي على النحو الآتي:

1- تحقيق المقصد الأعظم الذي خلق الله عز وجل الإنسان من أجله وأمره به، وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين، ليبين له طريقة القيام بهذه الغاية والمقصد، ألا وهو تحقيق العبودية لله تعالى، قال الله عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (سورة الذاريات: 56)، فيبين الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين سبل النجاة التي تعين الإنسان إلى الوصول إلى تلك الغاية المنشودة، ويحذره في ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين من العوائق التي تصده عن تحقيق تلك الغاية، ويبين له أسرار أركان الحج من الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، كل ذلك ليصل إلى محبة الله تعالى، فتكون حركاته، وسكناته، وهمساته ممزوجة برضا الله تعالى، حيث يقول الغزالي: "وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا، ويرسخ فيها حب الله تعالى، فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى، فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه، وغضبه وشهوته من المسخرات له، فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى" (xxxviii).

2- أن يصل الإنسان إلى غاية الكمال البشري نتيجة التخلي عن الصفات المذمومة المتعلقة بالعقل والقلب والجوارح جميعها، والتخلي بخصال الخير والفلاح، وهذا لا يتم إلا بأمرين:

صلاح القلب، فإذا انصلح القلب صلحت الجوارح، وإذا فسد القلب فسدت الجوارح، فبزكاة القلب تزكو الأعضاء وتستقيم، والأمر الثاني أن تعتاد النفس ترك المحظورات وفعل الطاعات، فإن النفس والقلب إذا اعتادا على ذلك أصبح من السهل واليسير على الأعضاء أن تفعل الخير وتحذر الشر، حيث يقول الغزالي رحمه الله: "اعلم أن المقصود من الأعمال الصالحة، تكميل النفس وتزكيتها وتصفيتها لتَهْذِيب أخلاقها، وكل من النفس والبدن متأثر بصاحبه، فإن النفس إن كملت وكانت زاكية حسنت أفعال البدن وكانت جميلة، وكذا البدن إن جملة آثاره حدث منها في النفس هيئات حسنة، وأخلاق مرضية، فإذا الطريق إلى تزكية النفس اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزاكية الكاملة، حتى صار ذلك معتاداً بالتكرار مع تقارب الزمان" (xxxix).

3- الوصول إلى العلم بأسماء الله عز وجل وصفاته وأفعاله، فالإنسان لا يعرف نفسه إلا إذا عرف ربه، فمن عرف نفسه بالضعف التام عرف ربه بالقوة المطلقة، ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى، وجعل الإمام الغزالي هذا الهدف من أسمى العلوم وأشرفها، حيث يقول في كتاب إحياء علوم الدين: "فلا ينظر العبد إلى غير الله تعالى، بل يكون منه خوفه، وإليه رجاءه، وبه ثقته، وعليه اتكاله، فإنه الفاعل على الأفراد دون غيره، وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض" (xi).

4- إقامة الدين في الأرض ونشره في أرجاء المعمورة، وهذا لا يتم إلا بحفظ الأبدان وسلامتها وأمنها، ولأهمية هذا الهدف تكفل الله بحفظ دينه وجعل له أسبابه، حيث يقول الغزالي في المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى: "المانع هو الذي يرد أسباب الهلاك والنقصان في الأديان والأبدان، بما يخلقه من الأسباب المعدة للحفظ، وجاء في معنى اسم الله الحفيظ، وكل حفظ فمن ضرورته منع ودفع، فمن فهم معنى الحفيظ فهم معنى المانع، فالمنع إضافة إلى السبب المهلك، والحفظ إضافة إلى المحروس عن الهلاك، وهو مقصود المنع وغايته" (xii). وقال الإمام الغزالي مبيناً أن معرفة الدين ونظامه لا تتم إلا بسلامة الأبدان، وأن أخطر أفة تهدد حفظ الدين والأبدان زوال نعمة الأمن، حيث يقول الغزالي: "نظام الدين بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات، والأمن هو آخر الآفات" (xiii).

5- تحقيق سعادة البشرية، وذلك بالقيام بطاعة الله تعالى والفوز برضوانه يوم القيامة، حيث يقول الغزالي: "إننا نعلم بشواهد الشرع، وأنوار البصائر جميعاً، أن مقصود الشرائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه، وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وكتبه، ورسله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 55)، أي ليكونوا عبيداً لي، ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية" (xiv). ويؤكد الإمام الغزالي على أن طريق السعادة للبشرية لا يكون بمجرد القيام بالطاعة، بل لا بد من المداومة على الطاعة والاستمرار عليها، فيقول الغزالي: "لا يكفي في

(xxxix) الغزالي، ميزان العمل، مرجع سابق، ص 251.

(xi) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج 4، ص 247.

(xii) الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، مطبعة الجفان والجابي، قبرص، 1987م، ط 1، ص 144، م.ش.

(xiii) الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ط 1، ص 128، م.ش.

(xiv) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج 4، ص 19.

نيل السعادة استلذاذ الطاعة، واستكراه المعصية في زمان دون زمان، بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام في جملة العمر، وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل".

6- الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأمم السابقة وقصص الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة والتسليم، وتبليغ رسالة الإسلام إلى العالمين شريطة مخاطبة الناس وفق عقولهم، حيث يقول الغزالي: "وهو أن يقدر يعني التالي لكتاب الله تعالى- أنه المقصود بكل خطاب في القرآن الكريم، فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً فمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء، علم أن السمر غير مقصود، وإنما المقصود ليعتبر به، وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه، فما من قصة في القرآن الكريم إلا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمته. ولذلك قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة هود: 120)، فليقدر العبد أن الله تعالى ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء، وصبرهم على الإيذاء، وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى" (xlv). ويقول أيضاً إن دور الرسل تبليغ رسالات ربهم وفق القدرات العقلية للمخاطبين، وهذا الأمر منوط بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يقول الغزالي: "وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عادتهم في المحاورة" (xlv).

7- اتباع الشرع ومخالفة الهوى، فاتباع الشرع فيه تحقيق مصلحة البشرية في العاجل والآجل سواء أكانت المصلحة مقيدة أم مطلقة أم عامة أم خاصة، واتباع الهوى ومخالفة الشرع مفسدة عظمى وهلاك للبشرية في الحال والمآل، فنظرية التزكية هدفها الأسمى اتباع الهدى ومخالفة الهوى، حيث يقول الغزالي: "الشرع يشتمل على مصلحة جزئية في كل مسألة، وعلى مصلحة كلية في الجملة. أما الجزئية فما يعرب عنها دليل كل حكم وحكمته، أما المصلحة الكلية فهي أن يكون كل مكلف تحت قانون معين من تكاليف الشرع في جميع حركاته، وأقواله، واعتقاداته، فلا يكون كالبهيمة المسيية تعمل بهواها، حتى يرتاض بلجام التقوى وتأديب الشرع، وتقسيمه إلى ما يطلقه وإلى ما يحجر عليه فيه، فيقدم حيث يطلق الشرع ويمتنع حيث يمنع، ولا يتخذ إلهه هواه، ويتبع فيه مناه" (xlv).

(xlv) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج 1، ص 285.

(xlv) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج 4، ص 253.

(xlv) الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، فضائح الباطنية، دار الكتب الثقافية، الكويت، 1431هـ، ط 1، ص 99، م.ش.

الخاتمة

تتضمن الخاتمة أبرز نتائج الدراسة وتوصياتها، وفيما يأتي عرض لها:

النتائج

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج، منها:

- 1- كان للمدرسة النظامية في خراسان، والإمام الجويني، والرحلة إلى بغداد دور كبير في إبراز الشخصية العلمية، وتكوينها لدى الإمام أبي حامد الغزالي.
- 2- تعرف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي بأنها: بيان مفهوم التزكية، وأهدافها، ومصادرها، ومجالاتها، وأساليبها، ومعوقاتا في رؤية الإمام أبي حامد الغزالي للتزكية، كما يعرف الهدف التزكوي عنده على أنه غاية الوصول إلى الكمال البشري في بنية الشخصية الإنسانية، من خلال المجاهدة والرياضة، وفق منهجية التخلية عما ينقص الكمال البشري، والتخلية بكل ما يؤدي إلى إتمام ذلك الكمال البشري.
- 3- تتنوع أهداف نظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي إلى أهداف بنية الشخصية الإسلامية المتعلقة بالفرد وهي عقلية، وجسمية، وروحية، وإلى أهداف عامة تتعلق بالجماعة.

التوصيات

توصي الدراسة بما يلي:

- 1- يجب على العاملين في حقل وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، أن يضمّنوا خطبهم، ودروسهم الوعظية الأهداف المتعلقة بنظرية التزكية عند الإمام أبي حامد الغزالي.
- 2- يجب على العاملين في حقل وزارة التربية والتعليم، أن يضمّنوا المنهاج الدراسي مواد علمية تتعلق بالجانب التزكوي عند الطلبة، وذلك حسب فئاتهم العمرية، ومراحلهم التعليمية.
- 3- يجب على العاملين في حقل الإصلاح الأسري، أن يسعوا إلى رفع القيم التزكوية بين أفراد الأسرة الواحدة؛ للتغلب على المشكلات المادية، والمعنوية التي تلحق الأذى بالأسرة، والمجتمع.

المراجع:

- إبراهيم، محمد إبراهيم حامد، تزكية النفس في القرآن الكريم بين الوسائل والمعوقات، مجلة الأزهر، القاهرة، 2020م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م.
- ابن الأثير، مجد الدين المبارك، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م، الطبعة الأولى.
- التوم، بشير حاج، مكانة فلسفة التربية في النظرية التربوية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1990م، الطبعة الأولى.
- الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، الطبعة الأولى.
- حراشي ليلي، مانع بسمة، فلسفة التربية عند الإمام الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة 8 ماي 1945 _ قالمة، الجزائر، 2017م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، 1900م، الطبعة الأولى.
- الدروبي، إبراهيم عبد الغني، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، مطبعة الرابعة، بغداد، 1958م.
- السبكي، تاج الدين بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، دار هجر، القاهرة، 1413هـ، الطبعة الثانية.
- بني عامر، سامر خليفة، معالم نظرية التزكية عند ابن القيم في الوعظ والإرشاد وتطبيقاتها التربوية، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 2022م.
- الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، ديت، د.ط.
- الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، بيروت، 2004م، الطبعة الأولى.
- الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، مطبعة الجفان والجابي، قبرص، 1987م، الطبعة الأولى.
- الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، المنقذ من الضلال، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ديت، الطبعة الأولى.
- الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، فضائح الباطنية، دار الكتب الثقافية، الكويت، 1431هـ، الطبعة الأولى.
- الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، كيمياء السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، الطبعة الأولى.
- الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، مشكاة الأنوار، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1431هـ.
- الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، ميزان العمل، دار المعارف، 1964م، الطبعة الأولى.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2018م، الطبعة الأولى.
- أبو الفرج، جمال الدين الجوزي، الثبات عند الممات، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ديت، الطبعة الأولى.
- فليه، فاروق عبده، وأحمد زكي، معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004م، د.ط.

القاهري، عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، 1990م، الطبعة الأولى.
الكيلائي، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، دار القلم، أبو ظبي، 2005م، الطبعة الأولى.
محمد، فاطمة أحمد موسى، تزكية النفس عند الإمامين الغزالي وابن تيمية، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، كلية أصول الدين، 2017م.
ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، الطبعة الثالثة.
الوزير، محمد السيد عبد المنصف، فلسفة الأخلاق عند أبي حامد الغزالي، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، السودان، 2022م.